العدول الصرفي الاسمي في خطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم: الدلالات والأغراض

"The Nominal Morphological Variations in the Discourse of the People of the Book in the Holy Quran: Meanings and Purposes"

سعاد محمود حامد أبوجبل [1]

Suad Mahmoud Hamed Abujabal [1]

10.15849/ZJJHSS.231130.06

الملخص

يتناولُ هذا البحثُ ظاهرةَ العُدولِ الصَّرفيّ عن الأصلِ في استعمالِ المُشتقَّاتِ الصَّرفيَّةِ الاسميَّة في خِطابِ أهلِ الكتابِ في القرآنِ الكريمِ، من أجلِ الوقوفِ على الأغراضِ الدَّلاليَّةِ لذلك العدولِ ودورِه في تجلِيَةِ المعاني الدَّقيقةِ وإثرائِها، وإسهامِهِ في تشكيل الخطاب.

وقد بيَّنَ البحثُ بالمنهجِ الوصفيّ التَّحليليّ الفروقَ الدَّلاليَّةَ الدَّقيقةَ للصِّيَغِ الصَّرفيَّةِ الاسميَّةِ الّتي تناولَها واستعمالاتِها المُتعدِّدَة، ثُمَّ عدولَها من صيغةٍ إلى أُخرى مبيّنًا الفوائدَ المجنِيَّةَ من ذلك في الجانِبِ الدَّلاليّ، وفقَ ثلاثةِ مباحث: الأوَّل: عدولُ اسمِ الفاعِلِ إلى صيغةِ المبالغة، وإلى الصِّفةِ المشَبَّهَة. والثَّاني: عدولُ اسمِ المفعولِ إلى اسم الفاعِلِ، وإلى المصدرِ. والثَّالث: العدولُ بين صِيَغِ المصدر. وكان من أبرَزِ فوائدِ ذلك التَّوسُّعُ في المعنى وإثارةُ المُتَلَقِّي.

الكلمات المفتاحية: العدول، الصيغ الاسميّة، القرآن الكريم، الخطاب، الدّلالة.

Abstract

This research examines the phenomenon of nominal morphological conversion from the original form in the usage of nominal derivations in the discourse of the People of the Book in the Holy Quran, in order to uncover the semantic purposes of such conversion and its role in elucidating and enriching precise meanings, as well as contributing to the shaping of discourse.

The research employs a descriptive-analytical approach to delineate the precise semantic differences in the nominal morphological forms discussed and their various uses, and then the conversion from one form to another, highlighting the semantic benefits derived from this in the semantic aspect. The research is divided into three sections:

1. Conversion of the active participle to the intensive form and to the resembling adjective.
2. Conversion of the passive participle to the active participle and to the infinitive.
3. Conversion between nominal derivative forms.

One of the prominent benefits of this is the expansion of meaning and the stimulation of the recipient's comprehension.

Key words: formula alteration, identifiable form, Holly Qura'n, Discourse, Meaning.

[1] وزارة التربية والتعليم، الدراسات اللغوية

***للمراسلة:** abujabalsuad@gmail.com

تاريخ استلام البحث: 2023/09/05

تاريخ قبول البحث:2023/10/15

[1]Ministry of Education, Linguistics Studies

***Corresponding author:** abujabalsuad@gmail.com

Received: 05/09/2023

Accepted: 15/10/2023

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2023

المقدمة

يُعدُّ العدولُ الصرفي في القرآن الكريم من أبرز الأساليب اللغوية الفنية التي أسهمت في تشكيل الخطاب القرآني وإثراء معانيه وإثارة المتلقي، كالعدول بين الاسم والفعل، والعدول العددي بين المفرد والجمع، والعدول بين جمع الكثرة وجمع القلّة، والعدول الجنسي بين المذكّر والمؤنّث...إلخ. وكان لأهل الكتاب في كتاب الله تعالى حظٌّ وافر، فقد خوطبوا في عشرات الآيات خطابًا برزتْ فيه ظاهرةُ العدول الصرفي بأنماط متعددة. ولمّا كان تناولُها كلّها أمرًا لا يسعه هذا البحثُ، فهو يحتاج إلى دراساتٍ ودراسات؛ اقتصرَ البحثُ على دراسة العدول في الصيغ الاسمية فقط من خلال بعض الشواهد الدالّة، وذلك وفقَ ما يأتي:

بدأ بتمهيدٍ موجز: عرّفَ فيه مفهومَ العدول لغةً واصطلاحًا، ووَقَفَ على أغراضه عمومًا. ثمّ تناولَ بالوصف والتحليل تناوبَ المشتقات الصرفية الاسمية وحلول أحدها مكان الآخر في نماذج من الآيات الكريمة، وبيان الأغراض الدلالية التي أداها العدول الصرفيّ الاسمي في تلك الآيات بعد تفسيرها، مستطلعًا ومناقشًا آراءَ أبرز المفسرين واللغويين. وذلك وفق المباحث الآتية:

- المبحث الأول: عدول اسم الفاعل إلى صيغة المبالغة، وإلى الصفة المشبّهة.
- المبحث الثاني: عدول اسم المفعول إلى اسم الفاعل، وإلى المصدر.
- المبحث الثالث: العدول بين صيغ المصدر.

وقد انتهى البحث بخاتمةٍ تضمنت أهم النتائج؛ متلوَّةً بقائمة المصادر والمراجع.

أما عن الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع العدول الصرفي، فمن أبرزها (الحديثة) حسب اطلاع الباحثة:

- بحث بعنوان "تحولات الأفعال في السياق القرآني وأثرها البلاغي"، للباحث عبد الله الهتاري، مجلة الدراسات الاجتماعية، اليمن، 2006. تناول البحثُ تحولَ الأفعال بصفته ظاهرةً أسلوبية في التعبير القرآني ودور السياق في تحديد دلالة هذا التحول.
- رسالة ماجستير بعنوان "الصيغة الاسمية في قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم (دراسة صرفية دلالية)" للباحثة أديبة مصطفى، 2020، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان، الأردن. تناولت علاقة الصيغ الاسمية بالدلالة والبلاغة في قصة موسى عليه السلام، في ثلاثة فصول: خُصِّص أولها للأثر الدلالي لاختيار صيغة الاسم في قصة موسى عليه السلام. وخصص ثانيها للعدول في صيغة الاسم ودلالته في القصة. وأما ثالثها فللأثر الدلالي للعلامة الصرفية والزمن الصرفي في القصة.
- بحث بعنوان "العدول عن الأصل في بنية الكلمة: مظاهره وأسبابه"، لكمال سعد أبو المعاطي، منشور في: مجلة كلية التربية، القسم الأدبي، جامعة عين شمس، ج9، ع1، يونيو 2002م، ص83-152.
- رسالة ماجستير بعنوان "العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم: دراسة دلالية"، للباحث جلال الحمادي، 2007م، جامعة تعز. خصَّصَ فصلًا في بابها الثاني لعدول صيغ الأسماء: العدول عن صيغة اسم الفاعل إلى صيغ: المبالغة واسم المفعول والصفة المشبهة، كما تحدث عن العدول عن صيغة اسم المفعول إلى صيغة المصدر... إلخ.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2023

– أطروحة دكتوراه بعنوان "العدول الصرفي في القرآن الكريم: دراسة دلالية"، للباحث هلال الجحيشي، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2005م. وقد أفاض الحديثَ عن ظاهرة العدول في اللغة العربية والصرف العربي عمومًا، ثم خصَّ فصلها الثاني بالعدول الصرفي في بعض مفردات القرآن الكريم والصيغ الصرفية: العدول عن اسم الفاعل إلى اسم المفعول والصفة المشبهة وصيغ المبالغة... إلخ، ثم عن العدول عن اسم المفعول إلى المصدر والمبالغة واسم الفاعل والصفة المشبهة، والعدول عن المصدر إلى المشتقات مستشهدًا لذلك كله بآيات من القرآن الكريم.

ولم تقف الباحثة –حسب اطلاعها– على دراسة مستقلة بحثت أسرار العدول الصرفي في الآيات الكريمة التي خوطب فيها أهل الكتاب. تلك الأسرار التي تستحق النظر والتأمل لما فيها من دور كبير في إبراز أسرار الإعجاز القرآني، وهو ما حثَّ الباحثة لبحث هذا الموضوع.

تمهيد

مفهوم العدول لغةً واصطلاحًا وأهم أغراضه

تدور مادّةُ (عدل) في اللغة على معنى الترك والحيْد والتجاوز، فَعَدَلَ عن الشيء عُدُولًا: حَادَ عنه وتركه إلى غيره وجاوزه[1]، فالعدول لغةً هو التجاوز. أما في الاصطلاح فهو مصطلحٌ بلاغيٌّ أسلوبيٌّ له مرادفات عديدة –أشهرها الانزياح– وتعريفاتٌ متعددة عند القدماء والمحدثين؛ مؤدّاها: الخروجُ عن الأصل اللغويّ وانحرافُ الكلام عن نمطه المثاليّ[2].

ويعدُّ الانزياحُ عن المستوى اللغويّ المثاليّ الاعتياديّ القواعديّ سمةً على البلاغة والإبداع والجمالية والشعرية والأدبية والأسلوبية عند القدماء والمحدثين، لما يحدثه من دهشةٍ وإثارةٍ واستفزازٍ للمتلقي نظرًا لمخالفته المألوفَ. ولا يكون إلا لغرضٍ يقتضيه، ولا يستطيعه إلا "العارف برموز الفصاحة والبلاغة، الذي اطّلع على أسرارها وفتّش عن دفائنها"[3].

ومن أخصب الميادين التي تتجلى فيها القيمة الجمالية والدلالية لظاهرة العدول في العربية ميدانُ الصرف والتصريف؛ فهي تشمل أبنية الكلمة وصيغها الصرفية التي تتيح لها قواعدُ الصرف أن تتحول من صيغةٍ صرفية إلى صيغة أخرى في السياق ذاته لمعانٍ مرومة، وهو ما يطلق عليه (العدول الصرفي): فـ"من سنن العرب أن تأتي بالفعل بلفظ الماضي وهو حاضرٌ أو مستقبل، أو بلفظ المستقبل وهو ماضٍ...، وأن تأتي بالمفعول بلفظ الفاعل..."[4].

---

[1] انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم (ت711هـ): **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، مادة (عدل). وأبو البقاء، أيوب بن موسى (ت1094هـ): **الكليات**، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص640.

[2] انظر: الهنداوي، عبد الحميد: **الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم**، المكتبة العصرية، بيروت، 2008م، ص141–142. وعبد المطلب، محمد: **البلاغة والأسلوبية**، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، 1994م، ص268. والزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت794هـ): **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، 2006م، ص820.

[3] ابن الأثير، ضياء الدين (ت637هـ): **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1939م، ج2، ص14.

[4] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ)، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق: فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ج1، ص265.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2023

وقد أصّل اللغويون والبلاغيون العربُ القدماءُ لهذا المصطلح، ومن ذلك:

- يقول ابنُ جني: "...هذا رجلٌ دنَف، وقومٌ رضًا، ورجل عدل. فإنْ وصفتَه بالصفة الصريحة قلتَ: هذا رجلٌ دنِف، وقومٌ مرضيون، ورجلٌ عادل. هذا هو الأصل، وإنما انصرفت العرب عنه في بعض الأحوال إلى أنْ وصفت بالمصدر لأمرين: أحدهما صناعي، والآخر معنوي. أما الصناعي فليزيدك أنسًا بشبه المصدر للصفة التي أوقعته موقعها..."[1].
- وقد عدَّ عبدُ القاهر الجرجاني الاتساعَ والعدولَ عن اللفظ الظاهر –مع الكناية والاستعارة– مزيةً وحسنًا وفضلًا[2].

وقد تميّز أسلوبُ القرآن الكريم بانتقاء الألفاظ بعنايةٍ فائقةٍ فلا ترادفَ؛ وهو من مظاهر إعجازه؛ فاستعمال كلمة في موضعٍ ما يقدّم دلالةً تختلف عمّا تقدمه كلمةٌ أخرى؛ وهو ما يضيف إلى معنى الكلمة معانيَ ودلالات لا تتأتّى إلا باستخدام هذه الصيغة دون غيرها.

وبالنظر في كلام المفسّرين واللغويين عن هذا الموضوع، يمكن القول: إنّ للعدول الصرفيّ ثلاثَ غاياتٍ: معنوية، وفنية، وتداولية:

- فالغايةُ المعنوية طلبُ المبالغة وتدقيقُ الدلالة. فعدولُ المتكلم عن صيغة إلى أخرى تدل على أنه ظهرتْ له في الأخرى فائدةٌ تفتقر إليها الأولى. وأولى الفوائد التي يتوخّاها المتكلم هي فائدة المعنى الذي من أجله كان الخطاب أصلًا؛ بدليل أنه لو كان في العدول ما يخلّ في المعنى لما جاز.
- والغاية الفنيّة تظهر في رعاية الإيقاع وضبطه، أو إضفاء الغموض الفنيّ على العبارة. وهو ما من شأنه أن يشدّ انتباه المتلقّي فيتساءل عن الأبعاد الكامنة وراءه؛ فاللغة في أصلها تقوم على السماع والمشافهة، ولذا فالبعد الفنيّ فيها إنما تستأثر به حاسّة السّمع أوّلًا ثم آلة الإدراك. ولذلك يؤدي الإيقاع دورًا محوريًّا في الوظيفة الجمالية للغة فساغ الحديث عن موسيقى الكلام في هذا السياق بالكشف عن الخصائص الصوتية التي تكفل للمفردة المعدول إليها القبول والاستحسان دون بدائلها. وبذلك يمكن إدراج كل أنواع المحسّنات اللفظية ذات الأثر المباشر على الشحنة الصوتية في العبارة من حيث التناغم بين مكوّنات الملفوظ، وهي المساحة التي يتقاطع فيها العدول الصرفيّ مع علم البديع أحد فروع البلاغة، وبذلك يكون العدول بأثره الإيقاعي عاملًا مريحًا للأذن دافعًا عنها السأم والأذى بما يهيّؤها لتقبّل ما يحمله باقي الملفوظ من معانٍ.
- أما الغاية التداولية فيكشف عنها اعتبار حال المتلقّي وسياق التواصل. فللمتلقي حالتِه النفسية ومستواه اعتبارٌ عند إنشاء الخطاب في البلاغة العربية وهو شريك في إنتاج الخطاب وسيرورته، فينتقي المخاطِبُ ملفوظه ويبعد ما يأباه مقام التلقّي من صيغ[3].

---

[1] ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت392هـ)، **الخصائص**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، ج3، ص262.

[2] الجرجاني، عبد القاهر (ت471هـ)، **دلائل الإعجاز**، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط3، 1992م، ج1، ص430.

[3] ينظر: مشري، عبد الناصر: **دلالات العدول الصرفي في القرآن الكريم**، أطروحة دكتوراه، إشراف: أحمد جلايلي، الجمهورية الجزائرية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، كلية الآداب، 2014م، ص37–46.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2023

المبحث الأول

عدول اسم الفاعل إلى صيغة المبالغة وإلى الصفة المشبّهة

بالنظر في آيات خطاب أهل الكتاب لتفحّص الدافع الدلالي للاستخدام القرآني الدقيق للصيغ الصرفية، يتبيّن أنّ التعبير القرآني قد عدل عن اسم الفاعل إلى صيغ عديدة، كصيغة المبالغة والصفة المشبّهة، لأغراضٍ دلالية يحكمها الموقف والسياق. وفيما يلي بيان ذلك ضمن مطلبين:

المطلب الأول: عدول اسم الفاعل إلى صيغة المبالغة

"يُحوّل اسم الفاعل إلى صيغ سماعية متعدّدة بقصد الدلالة على التكثير في حدث صيغة فاعل كمًّا أو كيفًا؛ لأن صيغة فاعل محتملة للقلّة والكثرة، وصيغة المبالغة تأكيد للمعنى وتقويته والمبالغة فيه؛ فصيغة المبالغة هي صيغة مشتقة محوّلة من صيغة فاعل للدلالة على المبالغة في المعنى مع تأكيده وتقويته"[1].

ومن ذلك قوله تعالى: "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٌ ۖ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (المائدة: 19). في هذه الآية الكريمة يخاطب الله تعالى أهل الكتاب بأنّ الرسول محمدًا –صلى الله عليه وسلم– بيّن لهم الحجّة لئلا يقولوا غدًا ما جاءنا رسول في تلك الفترة التي انقطع فيها إرسال النبيين[2].

ويظهر العدول في "ما جاءنا من بشير"، أي: مبشّر، و"لا نذير" أي: مُنذِر. وبذلك تتحقّق جماليّة الاتّساق الصيغي لبنية العدول عن اسم الفاعل (مبشّر ومنذر) إلى صيغة المبالغة بوزن فعيل (بشير ونذير). والتأليفُ بين المتغايرات من الصيغ الصرفيّة والجمعُ بينها يعدّ نمطًا متفوّقًا من أنماط التشكيل الجمالي، ولا سيما حين يحقق هذا المسلك الأسلوبي قيَمًا دلاليّة وأغراضًا بلاغية مقصودة؛ وهو ما حفلت به بنية العدول في الآية الكريمة؛ حيث أدّى هذا العدول عن اسم الفاعل إلى صيغة المبالغة وإضافة (من) قبل الصيغتين إلى زيادة المبالغة في التبشير والإنذار لأهل الكتاب[3].

وتتضمّن الآيةُ دلالات مختلفة وهي:

أوّلاً: عُدل عن اسم الفاعل (مبشّر) إلى صيغة المبالغة (بشير)؛ لأن تبشير هؤلاء يحتاج إلى مجهود كبير ويقتضي المبالغة والتكرار في خطابهم، فجاء بصيغة المبالغة الدالّة على معنى المبالغة، ولم يستخدم اسم الفاعل لأنه مجرّد منها، كما أنّ الإنذار يقتضي استنفاد الجهد واستفراغ الطاقة في تحذير المخاطب وتكرار حدث الإنذار؛ لذلك جاء بصيغة المبالغة (نذير).

ثانيًا: نظرًا لأهمية وظيفتي الإنذار والتبشير فالمعنى لكل منهما: الإنذار: هو التحذير من شرّ قادم، والبشارة: هي الإعلام بخير قادم.

---

[1] نهر، هادي: **الصرف الوافي**، عالم الكتب الحديث، إربد، 2010م، ص124.

[2] ينظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (671هـ): **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964م، ج6، ص121.

[3] ينظر: البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت510هـ)، **معالم التنزيل**، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، ودار إحياء التراث العربي، بيروت، ط4، 1997م، ج3، ص35.

يقول ابن عاشور في قوله تعالى: "يا أيها النبيّ إنّا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا" (الأحزاب: 45): "والمبشّر: المُخبر بالبشرى، والبشارة: هي الحادث المسرّ لمن يُخبر به والوعد بالعطيّة... والنذير: مشتقّ من الإنذار، وهو الإخبار بحلول حادث مسيء أو قرب حلوله"[1]؛ فعدل السياق عن اسم الفاعل إلى صيغة المبالغة مع فعلي التبشير والإنذار للتأكيد على أهميتهما بالنسبة إلى دعوة أهل الكتاب، بل بالغ في حديثه عن دعوتهم وخاصّة خلال الفترة التي أنكروا فيها إرسال الرسل لتبشيرهم وإنذارهم ليهتدوا إلى الطريق الصحيح وصراط الله المستقيم وليؤمنوا بالرسل جميعًا.

وبناءً على ما سبق، يتّضح سرّ العدول وسببه، وهو إبراز مبالغة أهل الكتاب في إنكار مجيء الأنبياء ودعوتهم توحيد الله في تلك الفترة، وقد بيّنت التفاسير كذبهم وادّعاءهم في هذا الأمر؛ إذ كان بين ميلاد عيسى والنبي –صلى الله عليهما وسلم– خمسمئة وتسع وستون سنة بُعث في أوّلها ثلاثة أنبياء، كما في قوله تعالى: "إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث" (يس: 14).

المطلب الثاني: عدول اسم الفاعل إلى الصفة المشبهة

يقول الله تعالى: "أفغير الله أبتغي حكمًا وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصّلًا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزّل من ربك بالحق فلا تكوننّ من الممترين" (الأنعام: 114). فقد عدل التعبير القرآني في هذه الآية عن اسم الفاعل (حاكم) إلى الصفة المشبهة (حكم) على وزن فعَل.

وجاء في تفسير الرازي للآية: قل لهم يا محمد كيف أضل وأبتغي غير الله حكمًا، فقد أمره الله سبحانه وتعالى أن ينكر عليهم ما طلبوه منه من أن يجعل بينه وبينهم حكمًا فيما اختلفوا فيه، وإن الله هو الحكم العدل بينه وبينهم وهو الذي أنزل القرآن مفصّلًا مستوفيًا لكلّ قضية على التفصيل، ثم أخبر نبيّه –صلى الله عليه وسلم– بأن أهل الكتاب، وإن أظهروا الجحود والمكابرة، فإنهم يعلمون أنّ القرآن منزّلٌ من عند الله بما دلّتهم عليه كتب الله المنزّلة كالتوراة والإنجيل من أنه رسول الله، وأنه خاتم الأنبياء[2].

وذكرَ الرازي أيضًا أنّ الحكم أكمل من الحاكم؛ لأن الحاكم كل من يحكم، وأما الحكم فهو الذي لا يحكم إلا بالحق. والمعنى أنه تعالى حكمٌ حقّ لا يحكم إلا بالحق، فلما أظهر المعجز الواحد وهو القرآن فقد حكم بصحّة هذه النبوّة، ولا مرتبة فوق حكمه فوجب القطع بصحّة هذه النبوّة من خلال إظهار المعجز الواحد[3].

كما قيل أن الحكم مَن عُرف منه الحكم مرّة بعد أخرى، والحاكم اسم فاعل يصدق على المرة الواحدة. فالحكم أبلغ من الحاكم؛ إذ هي صيغة للعدل من الحكّام، والحاكم جارٍ على الفعل وقد يقال للجائر. وكأنه إشارة إلى حكم الله عليهم بأنّهم لا يؤمنون ولو بعث إليهم كلّ الآيات، أو حكمه بأن جعل للأنبياء أعداء وحكمًا، أي

---

[1] ابن عاشور، محمد الطاهر (ت1393هـ)، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984هـ، ج22، ص53.

[2] الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر (ت606هـ): **مفاتيح الغيب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، ج13، ص124.

[3] ذاته، ص124.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2023

فاصلًا بين الحق والباطل. والحكم: الحاكم المتخصّص بالحكم الذي لا يُنقض حكمه، فهو أخصّ من الحاكم؛ ولذلك كان من أسمائه تعالى: الحكم ولم يكن منها الحاكم[1].

ولعله بما سبق يتضح الدور الذي أداه العدول في الآية الكريمة إلى الصفة المشبهة، فالحكم أبلغ من الحاكم، لأن الصفة المشبّهة تفيد ثبوت معناها؛ ولذا لا يوصف به إلا العادل أو من تكرّر منه الحُكم، واسمُ الفاعل يدلّ على الحدوث ويصدق على المرة الواحدة، ومعنى الثبوت الاستمرار واللزوم؛ صفةٌ ثبتت في صاحبها على وجه الدوام، وإذا أردنا الحدوث حوّلنا الصفة المشبّهة إلى اسم الفاعل. ولا سيما (حكَم) صفة لله –عزّ وجلّ– ولا يليق بجلاله إلا الثبوت في صفاته، فصفاته غير حادثة وهو لا يحكم إلا بالعدل، وبذلك يتّضح سبب العدول في الآية الكريمة.

ومن شواهد العدول عن اسم الفاعل إلى الصفة المشبهة أيضًا، ما جاء في قوله تعالى: "إذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله يبشرك بكلمةٍ منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهًا في الدنيا والآخرة ومن المقرّبين" (آل عمران: 45). تتضمن الآيةُ بشرى لمريم عليها السلام بمولود يحصل بكلمة من الله بلا واسطة أب، اسمه الذي يميزه لقبًا المسيح وعلمًا عيسى، متأهّلًا للملك والعلم والولايات الفاضلة، ومباركًا ملازمًا للبركة، وسيّدًا ومعظّمًا، من المقرّبين من الله –عزّ وجلّ– وصاحب منزلة رفيعة[2].

والعدول في الآية في كلمة (المسيح)؛ حيث عدل عن اسم الفاعل (الماسح) إلى الصفة المشبهة (المسيح) التي اكتنزت كثيرًا من المعاني والدلالات: "الأول: لأنه ما كان يمسح بيده ذا عاهةٍ إلا برئ من مرضه، الثاني: لأنه كان يمسح الأرض أي: يقطعها، ومنه مِساحة أقسام الأرض، الثالث: لأنه كان يمسح رأس اليتامى لله تعالى. فعلى هذه الأقوال: هو فعيل بمعنى فاعل، كرحيم بمعنى راحم..."[3].

المبحث الثاني

عدول اسم المفعول إلى اسم الفاعل وإلى المصدر

عُدل عن اسم المفعول في آيات خطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم إلى صيغ صرفية أخرى، وكان لكلّ عدول دلالة تختلف عن غيرها، تلاؤمًا مع أحوالهم التي كانوا عليها في مواقفهم من دعوة محمد صلى الله عليه وسلم، وسيتم تناول عدول اسم المفعول إلى اسم الفاعل وإلى المصدر في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: عدول اسم المفعول إلى اسم الفاعل

---

[1] ابن عاشور، محمد الطاهر (ت 1393هـ): **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج5، ص165، وينظر: أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي (ت 745هـ): **البحر المحيط**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ، ج4، ص627.

[2] القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد (ت 1332هـ): **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ، ج2، ص318، وينظر: أبو السعود، محمد بن مصطفى العمادي الحنفي (ت982هـ): **تفسير أبي السعود** (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، ج2، ص36–37.

[3] الفخر الرازي: مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج8، ص222–223، بتصرف. وانظر: الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري (ت468هـ): **التفسير البسيط**، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، محقق في مجموعة من أطاريح دكتوراه (15 أطروحة) لغير باحث، بإشراف لجنة علمية، ط1، 1420هـ، ج5، ص256.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2023

يُعدل عن اسم الفاعل إلى اسم المفعول أو العكس لغرض بلاغي أو نفسي يصير به ذلك الاستعمال ذا معنًى عميق يستدلّ عليه بقرينة الاستعمال العدولي، ومن ذلك ما ذكره الثعالبي أن "العرب تقول: سِرٌّ كاتم؛ أي مكتوم، و مكان عامر؛ أي معمور، وقال تعالى: "فهو في عيشة راضية" (الحاقّة: 21) أي مرضيّ بها"[1].

إن المعنى العامّ لصيغة فاعل عند أهل الحجاز المفعول، وقد اختلطت الصيغتان على ألسنة الشعراء لإظهار التفنّن في المدح والهجاء والإغراب. ومما جاء عن العرب القصة المشهورة في هجاء الحطيئة للزبرقان بن بدر:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها **** واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي[2]

فقد عُدل في هذا البيت عن اسم المفعول (المطعم والمكسوّ) إلى اسم الفاعل (الطاعم الكاسي) وغاب عن عمر بن الخطاب ما قصده الحطيئة رغم بلاغته وسلامة سليقته اللغوية حتى أبان له حسان بن ثابت تلك المقاصد وأن ذلك راجع إلى اختلاف اللهجات.

ومن شواهد العدول عن صيغة اسم المفعول إلى صيغة اسم الفاعل، قوله تعالى: "إنّ هؤلاء متبّرٌ ما هم فيه وباطلٌ ما كانوا يعملون" (الأعراف: 139). وقيل في تفسير هذه الآية أنها جاءت في سياق حديث موسى – عليه السلام– عن بني إسرائيل، فقد شاهدوا من آيات الله ما يزجر مَن له أدنى علم عن طلب عبادة غير الله، ولكنّ هؤلاء القوم أشد خلق الله عنادًا وجهلًا فقد عكفوا على عبادة الأصنام، فقال لهم موسى أنه هالك ما هم فيه ومدمّر لا يتمّ منه شيء، وذاهب مضمحلّ جميع ما كانوا يعملونه من الأعمال مع عبادتهم للأصنام، والاشتغال بعبادة غير الله متبّر وإن قصدوا به التقرّب إلى الله تعالى[3].

وقد عدل في هذه الآية عن اسم المفعول (متبّر) إلى اسم الفاعل (باطل) وهو عدول في التركيب. وللكشف عن سرّ هذا العدول في هذا التعبير القرآني نجد أنه بدأ بصيغة اسم المفعول (مُتبّر) بمعنى مُدمّر، ثم انتقل إلى صيغة اسم الفاعل (باطل) أي: مضمحلّ ما كانوا يعملون من عبادتهم للأصنام وإن قصدوا بها التقرّب إلى الله، وإنما بالغ في هذا الكلام تنفيرًا وتحذيرًا عمّا طلبوا[4]. ومعنى كلمة (باطل) كما جاء في معاجم اللغة: "بطل الشيء يبطُلُ بطْلًا وبُطولًا وبطلانًا: ذهب ضياعًا وخُسرًا فهو باطل، والباطل نقيض الحقّ وضده..."[5].

---

[1] الثعالبي، عبد الملك بن محمد (ت429هـ)، **فقه اللغة وسر العربية**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1422هـ-2002م، ص229.

[2] الحطيئة: **ديوان الحطيئة** برواية وشرح ابن السكيت، تدقيق: محمد مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، لبنان، 1993م، ص119.

[3] ينظر: الشوكاني، محمد بن علي (1250هـ)، **فتح القدير**، دار ابن كثير، دمشق، 1414هـ، ج2 ص274. وينظر: الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج14، ص350-351.

[4] ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ج2، ص274.

[5] ابن منظور، لسان العرب، مادة (بطل). وانظر: الرازي، زين الدين محمد (666هـ)، **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط5، 1999م.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2023

وإنما بالغ في هذا الكلام بإيقاع هؤلاء اسم إنّ والإخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان. وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرًا لأن التنبيه على أن الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة، وأن الإحباط الكلي لازب لما مضى عنهم تنفيرًا وتحذيرًا عما طلبوا[1].

فعندما يسمع المتلقّي هذه الآية يظنّ أنّ السياق سيلتزم الصيغة نفسها؛ أي أنه عندما قال: متبّر، سيتابع ذلك بقوله: مُبطَل، إلا أنّ هذا العدول أدّى إلى جذب الانتباه ليقدم إيحاءات دلالية جديدة تدعو السامع لإعمال فكره في فهم سرّها وكنهها. فقد عُدل عن اسم المفعول لاسم الفاعل لإبراز المبالغة في أفعالهم في إنكارهم لنعم الله، وأنّ أعمالهم لا تعود عليهم بنفع ولا تدفع عنهم ضررًا.

وبما أن اسم الفاعل –كما يقول النحاة– يدلّ على الحدث والحدوث وفاعله، ويقصد بالحدث معنى المصدر كما في: باطل– بطلان، والباطل: اسم لضدّ الحق، فالإخبار به كالإخبار بالمصدر إذ يفيد المبالغة في بطلانه لأن المقام مقام التوبيخ والمبالغة في الإنكار، ويظهر من ذلك: أنه انتقال من غرض التوبيخ على سؤالهم إلى غرض التذكير بنعمة الله عليهم، وأنّ شكر النعمة يقتضي زجرهم عن محاولة عبادة غير المنعم[2].

ومن شواهد عدول اسم المفعول إلى اسم الفاعل ما جاء في الآية الكريمة: "ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين" (البقرة: 65). وقيل في تفسير هذه الآية أنه تعالى لما أخبرهم بما عامل به أصحاب السبت فكأنه يقول لهم: أما تخافون أن ينزل عليكم بسبب تمردكم ما نزل عليهم من العذاب فلا تغترّوا بالإمهال الممدود لكم[3]. والمعنى: أنه تعالى لم يعجزه ما أراد إنزاله بهم من العقوبة، بل لما قال لهم: "كونوا قردة خاسئين" صاروا كذلك كما أراد، فقد عدل عن اسم المفعول (مخسوء) إلى اسم الفاعل (خاسئ) مثل قوله تعالى: "ينقلب إليك البصر خاسئًا وهو حسير" (الملك: 4).

ولتوضيح سرّ هذا العدول: جاء في لسان العرب: الخاسئ: المطرود، وقيل: خسأته فخسأ، أي: أبعدته فبَعُد، والخاسئ: المبعَد، وهو بمعنى الصاغر القميء... ومنه قوله تعالى: "اخسأوا فيها" (المؤمنون: 108) أي: تباعدوا تباعد سُخطٍ ويكون الخاسئ بمعنى الصاغر[4]. فسر العدول عن اسم المفعول إلى اسم الفاعل هو التوسّع في المعنى لإبراز طلاقة القدرة الإلهية.

يتّضح أن المجيء بصيغة فاعل وإرادة المفعول له دلالات في التعبير القرآني منها: مبالغة اسم المفعول والتوسع في المعنى حيث تخرج الدلالات في الأساليب القرآنية لأغراض متنوّعة بهدف إيصال المعاني بصورة دقيقة.

المطلب الثاني: عدول اسم المفعول إلى المصدر

جاء عدول اسم المفعول إلى المصدر في شواهد عديدة من آيات خطاب أهل الكتاب؛ لأغراض دلالية مختلفة ومعانٍ دقيقة، ومن ذلك الآية الكريمة: "فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادًا لنا أولي بأس شديد فجاسوا

---

[1] ينظر: البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** المعروف بتفسير البيضاوي، دار الجيل، بيروت، ج3، ص32. وأبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الفاسي الصوفي (1224هـ)، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: د. حسن عباس زكي، القاهرة، 1419هـ، ج2، ص254.

[2] ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، مؤسسة التاريخ، بيروت، ط1، ج6، ص16.

[3] الفخر الرازي: مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج3، ص540.

[4] ابن منظور: لسان العرب، مادة (خسأ).

خلال الديار وكان وعدًا مفعولًا" (الإسراء: 5)، وقيل في تفسير هذه الآية: كُتب في اللوح المحفوظ أن بني إسرائيل سيكونون من المفسدين في الأرض بمعاصيهم ومخالفتهم لأحكام التوراة، وسيكون استعلاؤهم بغير حق استعلاء عظيمًا، فإذا جاء وعد الفسّاق في المرة الأولى أرسل الله عليهم قومًا أولي بأس شديد[1].

وقد عُدل في هذه الآية عن اسم المفعول (موعود) إلى المصدر (وعْد)، فالوعد مصدر بمعنى المفعول، أي: موعود أولى المرتين وهو الزمان المقدّر لحصول المرة الأولى من الإفساد والعلوّ، كقوله: "فإذا جاء وعد ربي جعله دكًّا"، ومثله أيضًا: "وكان وعدًا مفعولًا"، أي: معمولًا ومنفّذًا[2]. والوعد بمعنى الموعود مراد به العقاب، أي: فإذا حان وقت حلول العقاب الموعود، وقيل: الوعد بمعنى الوعيد، وهو بمعنى الوعد الذي يراد به الوقت، أي: فإذا حان موعد عقاب أولاهما بعثنا عليكم لمؤاخذتكم بتلك الفعلة عبادًا لنا[3].

فكلمة وعد في هذه الآية الكريمة مصدر واقع موقع مفعول، وهي بوزن (فَعْل) وهذا الوزن أصل في الفاعل فهو أحد أبنية الصفة المشبهة التي يُعدل إليها من صيغة مفعول، كقولنا: سهْل وضخْم، وهو أيضًا أصل في مصادر الفعل الثلاثي المتعدي مثل: قتْل ووعْد، ويعدل إلى هذا الوزن من الفاعل والمفعول على السواء، وسبب العدول إلى وزن المصدر هذا إنما هو لقصد المبالغة، وتكمن المبالغة في العدول عن الوصف باسم المفعول المشتقّ من الحدث إلى الوصف بالحدث نفسه، فيكون الموصوف هو نفس الحدث لكثرة ما يقع ذلك الحدث عليه؛ فكأنّ الموصوف صار في الحقيقة مخلوقًا من ذلك الفعل وذلك لكثرة تعاطيه واعتياده إياه[4].

فيتجلّى سرّ هذا العدول حيث جاء السياق كلّه بمجموع ألفاظه دالًّا على المبالغة والوعيد الشديد في عقابهم.

ومن شواهد عدول اسم المفعول إلى المصدر أيضًا ما جاء في الآية الكريمة: "يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمِنوا بما نزّلنا مصدّقًا لما معكم من قبل أن نطمس وجوهًا فنردّها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنّا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولًا" (النساء: 47). يخاطب الله تعالى اليهود المجاورين للرسول –عليه السلام– وناداهم بعنوان العلم والمعرفة وهو نسبتهم إلى كتابهم التوراة، آمرًا إياهم بالإيمان بكتابه القرآن الكريم وبمن أنزله عليه (محمد) دون تردد، من قبل أن يحلّ بهم ما حلّ ببعض أسلافهم؛ حيث مسخوا قردة وخنازير وكان أمر الله (مأموره مفعولًا) ناجزًا لا يتخلّف ولا يتأخّر لأنه تعالى لا يعجزه شيء وهو على كل شيء قدير[5].

وفي هذه الآية عُدل عن اسم المفعول (مأمور) إلى المصدر (أمر)، مبالغةً فأمرُ الله لأنه عن أمره كان وبأمره، وجميع ما أمر الله أن يكون كائنًا مخلوقًا موجودًا لا يمتنع عليه خلق شيء شاء خلقه. فسياق الآية دالّ على ما سينالهم من عقوبة عظيمة إن لم يؤمنوا بالرسول ومعجزته القرآن، وفيه وعيد شديد بزوال وجاهة اليهود في بلاد العرب ورميهم بالمذلّة بعد أن كانوا أعزّة ذوي مال وعدّة.

ومن ذلك أيضًا ما جاء في الآية الكريمة: "كلّ الطعام كان حلًّا لبني إسرائيل إلّا ما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تُنزّل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين" (آل عمران: 93)، فكلُّ المطعومات كانت

---

[1] الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج20، ص299.

[2] ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج8، ص259. وأبو السعود، تفسير أبي السعود، ج5، ص156.

[3] الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت1270هـ)، **روح المعاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ، ج8، ص18. وانظر: أبو حفص سراج الدين النعماني: **اللباب في علوم الكتاب**، مرجع سابق، ج8، ص210.

[4] ينظر: نهر، هادي: **الصرف الوافي**، عالم الكتب الحديث، إربد، 2010م، ص103.

[5] انظر: الطبري، ج8، ص448.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2023

حلالًا من قبل أن تُنزّل التوراة، أي: كان ما عدا المستثنى حلالًا لهم من قبل أن تُنزّل التوراة مشتملة على تحريم ما حرّمه عليهم لظلمهم، وفيه ردّ على اليهود لمّا أنكروا ما قصّه الله سبحانه على رسوله –صلى الله عليه وسلم– من أنّ سبب ما حرّمه الله عليهم هو ظلمهم وبغيهم، ثم أمره الله بأن يحاجّهم بكتابهم حتى يعلموا صدق ما قصّه الله في القرآن من أنّه لم يُحرّم على بني إسرائيل شيءٌ من قبل نزول التوراة إلّا ما حرّمه يعقوب على نفسه، وفي هذا من الإنصاف للخصوم ما لا يقادر قدرَه ولا يبلغ مداه[1].

في هذه الآية الكريمة عُدل عن اسم المفعول (المطعوم) إلى المصدر (الطّعام). ولتوضيح هذا العدول وتجليته للوقوف على الفوائد الدلالية للأسلوب القرآني العظيم يتّضح أنّ: فعَال بمعنى مفعول كالطعام لما يُطعم؛ لأنّ المفعول يسمّى بالمصدر كما قالوا: للمشروب شراب وللمكتوب كتاب، وهذا الوزن (فعَال) يحوّل الوصف إلى الاسمية؛ فيكون الشراب اسمًا لما يُشرب كالطعام لما يُطعم، والطعام: أصله مصدر أُقيم مقام المفعول، وهو اسم لكلّ ما يُطعم ويؤكل[2].

يظهر من الآية أن الله –سبحانه– خاطب أهل الكتاب حتى في أدقّ الأمور؛ حيث بيّن كل ما يتعلق بهم حتى المطعومات التي يأكلونها ما أُحلّ منها وما حُرّم، وجاء الاستخدام القرآني لكلمة طعام وهي معدولة عن المطعوم لكثرة استخدام هذه الكلمة حتى أصبحت كأنها هي الأصل، ولا يعرف أصلها أنها بصيغة اسم المفعول إلّا بعد تفحّص الكلمة والعودة للكتب المتخصصة، إضافةً إلى أن العدول إلى المصدر دائمًا يفيد معنى المبالغة في الشيء، وجاء وزن (فعَال) في القرآن الكريم لعدّة معان منها: الرفعة والضعة، وسياق الآية يدل على الرفعة لبني إسرائيل حيث كان كل الطعام حلًّا لهم إلا ما حُرّم عليهم بعد نزول التوراة بسبب ظلمهم.

المبحث الثالث

العدول بين صيغ المصدر

المصدرُ –كما هو معروف– مدلوله الحدث، ودلالته على الحدث بنفسه. في حين أن اسم المصدر –وهو المراد هنا– يدلّ على الحدث بوساطة المصدر، بمعنى أن المصدر هو معنى الحدث، ومدلول اسم المصدر هو لفظ المصدر. والواضح أنه إذا أريد التخفيف من عنصر الحدثية يؤتى باسم المصدر نائبًا عن المصدر[3].

وقد ورد العدول إلى صيغة اسم المصدر في آيات خطاب أهل الكتاب غيرَ مرّة. وللوقوف على هذه الظاهرة للكشف عن أسرارها نتدبر قوله تعالى: "ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثنيْ عشر نقيبًا وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزّرتموهم وأقرضتم الله قرضًا حسنًا لأُكفرنّ عنكم سيئاتكم ولأُدخلنّكم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضلّ سواء السبيل" (المائدة: 12).

يخاطب الله تعالى بني إسرائيل جميعًا، وقد أخذ منهم موثقًا بأنهم إن أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وآمنوا بالرسل ونصروهم وأنفقوا في سبيل الله في وجوه الخير كافة؛ فسيكافئهم الله جزاء هذه الأعمال، وقد وُصف إنفاقهم بالحسن؛ إمّا لأنه لا يُتبَع بمنّ ولا أذًى، وإما لأنه عن طيب نفس، وقد جعل الله تكفير السيئات إشارةً إلى إزالة

---

[1] الشوكاني: فتح القدير، مرجع سابق، ج1، ص414.

[2] البحر المحيط، ج3، ص263.

[3] انظر: نهَر، هادي: الصرف الوافي، ص103.

العقاب، وإدخالَ الجنات إشارة إلى إيصال الثواب[1]. وقد عُدل عن المصدر (إقراضًا) إلى اسم المصدر (قَرْضًا). ولعل ما يأتي يوضح هذا العدول:

دخل القرض في الآية تحت إيتاء الزكاة، والقرض لغة هو: ما تعطيه من المال لتقضاه، واستقرض منه: طلب منه القرض فأقرضه، واقترض منه: أخذ منه القرض، وهو أيضًا ما سلفت من إحسان أو إساءة[2]، وقال الجوهري: "والقرض في قوله تعالى "من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا" اسمٌ، ولو كان مصدرًا لكان إقراضًا ولكن قرضًا هنا اسم لكلّ ما يُلتمس عليه الجزاء، فأما قرضتُه أقرضه قرضًا: فجازيته، وأصل القرض في اللغة القطع[3].

والمقصود بالإقراض الإنفاقُ في سبيل الخير والتصدق بالصدقات المندوبة، وقوله تعالى "قرضًا حسنًا" إما مصدر مؤكّد وارد على غير صيغة المصدر أو مفعول ثانٍ لأقرضتم على أنه اسم للمال المُقرَض، وكل هذه الأقوال تؤكّد الدلالة التي استخدم التعبير القرآني لأجلها الاسم مقام المصدر فهو لم يغفل عن استخدام المصدر الأصلي للفعل لكنه أراد إبراز دلالة معينة وهي أنّ هؤلاء إن فعلوا ما أمرهم الله به طواعية من تلقاء أنفسهم وذلك بالإنفاق في سبيل الخير وتقديم الصدقات المندوبة وعدم الاكتفاء بالصدقات الواجبة عليهم في الأصل فهم يستحقون ما وعدهم الله به من تكفير لسيئاتهم، وكان ذلك سببًا لدخولهم الجنة، أما مَن لم يطع أوامر الله فلن يحظى بذلك من الله ولم يُهدَ إلى سواء السبيل[4].

وجاء في قوله تعالى: "فلما فصل طالوت بالجنود قال إنّ الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلّا من اغترف غرفةً بيده فشربوا منه إلا قليلًا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين" (البقرة: 249). وجاء في تفسيرها أنه لمّا استقرّ ملك بني إسرائيل لطالوت تجهّزوا لقتال عدوّهم، فلما فصل طالوت بجنود بني إسرائيل –وكانوا عددًا كثيرًا– امتحنهم بأمر الله ليتبين الثابت المطمئن ممن ليس كذلك، وكان الابتلاء بالشرب من النهر؛ فمن اغترف غرفة بيده فلا جُناح عليه، وكانت النتيجة أن أكثرهم لم يستطع الصبر وشرب من النهر[5].

وقد عُدل عن المصدر (اغترافًا) إلى اسم المصدر (غُرفة)، ولتوضيح هذا العدول جاء في الدر المصون للسمين الحلبي: "قرأ الحرميان وأبو عمرو (غَرفة) بفتح العين، والباقون بضمّها، فقيل: هما بمعنى المصدر إلا أنهما (غَرفة وغُرفة) جاءا على غير المصدر كنبات من أنبت، ولو جاء على المصدر لقيل: اغترافًا، وقيل: هما بمعنى المغترف كالأكل بمعنى المأكول، وقيل: المفتوح (غَرفة) مصدر قُصد به الدلالة على الوَحدة؛ فإن (فَعلة) يدلّ على المرة، والمضموم (غُرفة) بمعنى المفعول، فحيث جعلتهما مصدرًا فالمفعول محذوف تقديره: إلا مَن اغترف ماءً، وحيث جعلتهما بمعنى المفعول كانا مفعولًا به فلا يحتاج إلى تقدير. ومعنى الاغتراف: الأخذ من الشيء باليد وبآلة ومنه المِغرفة، والغرف مثل الاغتراف وقُرئ (غَرفة) بفتح الغين وهي مصدر، ولم يقل (اغترافة)؛ لأن معنى الغرف

---

[1] البحر المحيط، ج4 ص204.

[2] مختار الصحاح، مادة (قرض).

[3] لسان العرب، مادة (قرض).

[4] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت671هـ): **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، ج6، ص114، وينظر: تفسير أبي السعود، ج3، ص15.

[5] انظر: المصدر السابق، ج3، ص250–251.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2023

والاغتراف واحد، والغَرفة المرة الواحدة وقُرئ (غُرفة) بضم العين وهي الشيء المغترف، وقال بعض المفسرين: الغَرفة بالكف الواحد، والغُرفة بالكفين، وقال بعضهم: كلاهما لغتان بمعنى واحد[1].

يتّضح أنّ استخدام القرآن الكريم لكلمة غرفة بقراءتيها للدلالة على التقليل والمقدار، وقد استخدم التعبير القرآني (اغترف غرفة) على غير المصدر (اغترافًا) لتقديم دلالة معينة يقرّبها لذهن السامع بعد جذب انتباهه وحثّه على التفكير في الصيغ والتراكيب المستخدمة بدقّة، فهو لم يغفل عن استخدام مصدر الفعل نفسه لكن هناك سرًّا وغاية لهذا العدول؛ فالمقصود من هذا الابتلاء أن يتميّز الصادق عن غيره، فقد ذكر الله تعالى أن مَن يكون أهلًا لهذا القتال هم الذين لا يشربون من هذا النهر، وأن كل من يشرب منه فليس مأذونًا له، فأطاع قوم قليل منهم أمر الله تعالى فلم يزيدوا على الاغتراف، وأما الذين شربوا وخالفوا أمر الله فلم يفلحوا.

الخاتمة

تناول هذا البحثُ ظاهرةَ العدول الصرفي في صيغ الأسماء (اسم الفاعل واسم المفعول والمصدر)، في نماذج من الآيات القرآنية الكريمة التي خوطب فيها أهل الكتاب في القرآن الكريم، من حيثُ الضرورة السياقية التي أدتْ إلى العدول عن الأصل ودور ذلك العدول في توجيه الدلالة وإثراء المعنى، وانتهى إلى النتائج الآتية:

- أدّى العدول عن اسم الفاعل إلى صيغة المبالغة إلى زيادة المبالغة في التبشير والإنذار لأهل الكتاب لأن تبشير هؤلاء يحتاج إلى مجهود كبير ويقتضي المبالغة والتكرار في خطابهم.
- قد تستدعي الضرورة الدلالية البلاغية إلى العدول عن اسم الفاعل إلى الصفة المشبهة، لأن الصفة المشبّهة تفيد ثبوت معناها، واسمُ الفاعل يدلّ على الحدوث ويصدق على المرة الواحدة، ومعنى الثبوت الاستمرار واللزوم؛ صفةٌ ثبتت في صاحبها على وجه الدوام، وإذا أردنا الحدوث حوّلنا الصفة المشبّهة إلى اسم الفاعل.
- يُعدل عن اسم الفاعل إلى اسم المفعول أو العكس لغرض بلاغي أو نفسي يصير به ذلك الاستعمال ذا معنًى عميق يستدلّ عليه بقرينة الاستعمال العدولي، وقد اتضحَ أن المجيء بصيغة فاعل وإرادة المفعول له دلالات في التعبير القرآني منها: مبالغة اسم المفعول والتوسع في المعنى حيث تخرج الدلالات في الأساليب القرآنية لأغراض متنوّعة بهدف إيصال المعاني بصورة دقيقة.
- جاء عدول اسم المفعول إلى المصدر في شواهد عديدة من آيات خطاب أهل الكتاب؛ لأغراض دلالية مختلفة ومعانٍ دقيقة، لقصد المبالغة، وتكمن المبالغة في العدول عن الوصف باسم المفعول المشتقّ من الحدث إلى الوصف بالحدث نفسه، فيكون الموصوف هو نفس الحدث لكثرة ما يقع ذلك الحدث عليه.
- استخدم التعبيرُ القرآني غيرَ مصدرٍ عدولًا وانزياحًا لتقديم دلالات معينة يقرّبها لذهن السامع بعد جذب انتباهه وحثّه على التفكير في الصيغ والتراكيب المستخدمة بدقّة، فهو لم يغفل عن استخدام مصدر الفعل نفسه لكن هناك سرًّا وغاية لهذا العدول.

[1] السمين الحلبي، أحمد بن يوسف: **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط1، ج2، ص527.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2023

المصادر والمراجع

- ابن الأثير، ضياء الدين (ت637هـ): **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1939م.
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت1270هـ)، **روح المعاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت510هـ)، **معالم التنزيل**، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، ودار إحياء التراث العربي، بيروت.
- أبو البقاء، أيوب بن موسى (ت1094هـ): **الكليات**، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- البيضاوي، عبد الله بن عمر، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** (المعروف بتفسير البيضاوي)، دار الجيل، بيروت.
- الثعالبي، عبد الملك بن محمد (ت429هـ)، **فقه اللغة وسر العربية**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1422هـ-2002م.
- الحطيئة: **ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت**، تدقيق: محمد مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، لبنان، 1993م.
- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي (ت745هـ): **البحر المحيط**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت794هـ): **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، 2006م.
- أبو السعود، محمد بن مصطفى العمادي الحنفي (ت982هـ): **تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)**، وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1.
- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف: **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط1.
- الشوكاني، محمد بن علي (ت1250هـ)، **فتح القدير**، دار ابن كثير، دمشق، 1414هـ.
- ابن عاشور، محمد الطاهر (ت1393هـ): **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
- أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الفاسي الصوفي (1224هـ)، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: د. حسن عباس زكي، القاهرة، 1419هـ.
- عبد المطلب، محمد: **البلاغة والأسلوبية**، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1.
- الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر (ت606هـ): **مفاتيح الغيب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2023

- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد (ت1332هـ): **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت671هـ): **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2.
- مشري، عبد الناصر: **دلالات العدول الصرفي في القرآن الكريم**، أطروحة دكتوراه، إشراف: أحمد جلايلي، الجمهورية الجزائرية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، كلية الآداب، 2014م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت711هـ): **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
- نهر، هادي: **الصرف الوافي**، عالم الكتب الحديث، إربد، 2010م.
- الهنداوي، عبد الحميد: **الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم**، المكتبة العصرية، بيروت، 2008م.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2023